الخطاب

الذي ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٤/٠٨/٣٠

في حديقة المهدي في خيمة النساء

في اليوم الثاني من الجلسة السنوية في بريطانيا

۞۞۞۞۞

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

الأمور التي سوف أتحدث عنها اليوم لا بد منها للنساء وللرجال أيضا، فلا تظنّنّ إحداكن أنها للرجال فقط ولا حاجة لنا بأن نعيرها أي اهتمام.

لقد فرض الإسلامُ، على كلّ من الرجل والمرأة اللذين يشكلان عش الزوجية، أن يتفهم كل منهما واجباته إدراكًا لأهمية عش الزوجية وحفاظًا عليه لكي يجعلاه جزءًا هاما ذا قيمة في مجتمعهما. بسبب توافر مرافق السفر ووسائل الاتصال والتواصل والإعلام الالكتروني وانتشار التعليم على نطاق واسع، قد بدأ أبناء مجتمع اليوم يركّزون على أخذ حقوقهم أكثرَ من تركيزهم على أداء حقوق الآخرين. وبسبب هذا التركيز الزائد على أخذ الحقوق ينسى كلا الجنسين ما عليه من واجبات ولا يوليه إلا أهمية ثانوية. يريدون أخذ حقوقهم بحجة العدل، ولكن لا يريدون إعطاء حقوق غيرهم، أو يؤدون للطرف الآخر شيئا من حقوقه ثم يظنون أنهم قد أحسنوا إليه إحسانا عظيما. وليس السبب وراء المساوئ المنتشرة في مجتمع اليوم، سواء على صعيد البيوت أو الدول أو الأمم، إلا أن الناس يفضّلون حقوقهم على حقوق الآخرين، أو يتوقعون من الغير أداء واجباتهم ولكن لا يؤدون واجباته كما يجب. ولكن المؤمن، أو المؤمنة، الذي يدعي أنه مسلم ويؤمن بكون القرآن الكريم آخر الكتب والشرائع –ولا سيما

المسلم الأحمدي، أو المسلمة الأحمدية، الذي يعلن أنه قد بايع إمام هذا الزمان- فإن الله تعالى قد أمره بأداء ما عليه من حقوق وواجبات. والحق أنه لو سعى كل فرد في المجتمع لأداء ما عليه من حقوق وواجبات فسينال الجميع حقوقهم تلقائيا.

والحقوق التي فرضها الله على المؤمن نوعان: أحدهما يسمى حقوق الله، والآخر يسمى حقوق عباد الله. والذين يؤدون هذه الحقوق بنوعيها، باعتبارها حقوق الآخرين فعلاً، قد سماهم الله عباد الرحمن - لقد قلت إنهم يؤدونها باعتبارها حقوق الآخرين فعلاً لأن بعض الناس يظنون أنهم يؤدون حقوق الآخرين ولكن يغلب على أدائهم لها طابع الإحسان- وعباد الرحمن هؤلاء رجال ونساء، وقد سماهم الله عباد الرحمن تنبيهًا لهم بأنه تعالى قد منحهم نتيجة رحمانيته نعمًا لا تعد ولا تحصى، وخصهم بمحاسن كثيرة، وجعلهم أشرف المخلوقات، ورحمانية الله هي أكبرُ مننه، حيث تنفع جميع المخلوقات بلا تخصيص، فكأن الله تعالى يقول لعباده هؤلاء: هلّا تحثّكم منتي هذه على أن تؤدوا حق عبوديتي، وتسلكوا السبل التي هديتكم إليها. فمن فطرة الإنسان أنه إذا أحسن إلى غيره قليلا أو قام بعمل حسن بسيط، تمنى من الآخرين الثناء عليه والإشادة بعمله، وكثيرون يريدون أن يتحدث الناس عما فعلوه من معروف، ولكنهم لا يتنبهون إلى ضرورة شكر الله وأداء حق عبوديته مع أنه أكبر المحسنين، ثم إن مننه لا تمطر علينا بالمنافع المادية والظاهرة بل تغمر أياديه حياتنا الروحانية أيضا.

فالذي يدّعي الإيمان عليه الاهتمام بهذا الأمر أيضا. إن ادعاءنا الإسلام، وإيمانَنا بأنّ شرع الله الأخير هو منهج كامل للحياة، ودخولَنا في بيعة سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، تفرض علينا السعي لنكون عباد الرحمن حقًّا ليس باللسان فقط، بل ببذل كل ما في وسعنا لأداء ما فرضه الله علينا من حقوق وفرائض متوقّعًا منا أداءها على ما يرام، وبعَث من أجلها رسله ليهدونا إلى أمور تجعلنا جميعا، ذكورا وإناثا، عباد الرحمن، ويدلّونا على سبل الحياة التي نصبح بسلوكها من الذين يؤدون واجباتهم ويدخلون في عباد الرحمن المحبوبين لديه سبحانه وتعالى.

فينبغي أن نتذكر أننا لن نُعَدّ صادقين في ادعائنا بأننا من أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إذا قضينا حياتنا بحيث نؤدي فيها حقوق الله وحقوق الخَلْق أيضا، ولن نقدر على أدائها إلا إذا كانت لنا صلة حيّة بالله تعالى، واستجبنا لقول رسوله، وعملنا بأوامر الله لتوثيق الصلة به، واتبعنا الطرق التي دلنا عليها المسيحُ الموعود عليه السلام بأمر الله تعالى، غيرَ مكتفين بادعاء الدخول في بيعته عليه السلام.

قبل عدة جُمَع كنت لفتُّ انتباهكم إلى قول الله في القرآن الكريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} (الأَنْفال: ٢٥). فالله تعالى يعلن هنا أن هذا الرسول يدعو المؤمنين لإحيائهم. وكان القرآن قد نزل في عهد الصحابة، وكان هذا الحكم الرباني موجها إليهم، ولكن الأمر الواقع أن كل مسلم مأمور بالاهتمام بحياته الروحانية. والحياة التي يدعو إليها الرسول هي الحياة الروحانية، وعندما يدعو المؤمنين إلى أمر ويحثهم على شيء فعليهم الإصغاء إليه، لأن حياتهم الروحانية تكمن في العمل بما يقول. نتحدث عادة عن الحياة الروحانية كثيرا، والواقع أننا بحاجة ماسة لنقد أنفسنا لنعلم ما إذا كنا نسعى فعلا لنيل الحياة الروحانية باذلين جهدنا للعمل بأحكام الله ورسوله. إن حياتنا المادية فانية، ونِعَمُ الحياة الأبدية منوطة برفع الروحانية. والحق أن الفائز بالحياة الحقيقية إنما هو ذلك الذي يعمل بأحكام الله تعالى في هذه الحياة المادية الفانية مراعيًا حقوق الله وحقوق العباد ليزداد روحانية، فيجعل نفسه أهلاً لكي يرث نعم الله في حياته الآخرة الأبدية، وإذا جعل نفسه أهلاً لها عُدَّ من عباد الرحمن.

فلكي نكون من الذين يؤدون حق عبودية الله تعالى لا بد لنا من بذل الجهود. على كل أحمدي وأحمدية أن يتذكر أنه قد عاهد الله عند بيعة المسيح الموعود عليه السلام على أنه سيدخل في عباد الرحمن. ما هو المراد من الدخول في عباد الرحمن يا ترى؟ الحق أن المراد منه العهدُ نفسه الذي يعاهده المبايع عند البيعة، والشروطُ التي يعِد الأحمدي بالوفاء بها عند البيعة. وقد ذكر المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في شروط البيعة، وبمنتهى الشمول والجامعية، كلَّ الفرائض التي تُدخل المؤمن في عباد الرحمن، أو يكون هناك أمل أن العامل بها لن يقع في أية معصية بعدها. إن أكبر شرط للدخول في عباد الرحمن ولأداء حقوق الله تعالى هو أن يعدّ الإنسان كل شيء ما سوى الله تعالى أدنى وأحقر منه تعالى، ومن أجل ذلك طالب المسيح الموعود عليه السلام كلَّ مبايع أن يعاهد الله تعالى على اجتناب الشرك بكل أشكاله، سواء أكان شركا ظاهرا أو خفيا.

ثم اعلموا أن المرء لا يقصّر في أداء فرائضه، أو لا يضعف في فعل الخيرات، إلا لظنّه أنه يمكنه أن يكذب عند الحاجة، أو يقول في نفسه ما الحرج في ليِّ الأمرِ قليلا للتخلص من الورطة، زعمًا منه أنه ليس بكذب، مع أنه كذب في الواقع. اعلموا أن الكذب إثم يولّد آثامًا أخرى، ويأكل الحسنات باستمرار، ويدفع إلى التقصير في أداء الواجبات وإلى سلب حقوق الآخرين، ومن أجل ذلك قد حذّر منه المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في شروط البيعة بوجه خاص.

ثم إن حضرته عليه السلام قد نبهنا بشدة إلى اجتناب المنكرات والفواحش. إن مجتمع اليوم يدمَّر بحجة الحرية والتعليم. لو تدبر المرء الفَطِن المتفرس- والفراسة وفضل الله هو ما وفقنا لقبول الأحمدية والثبات عليها- لأدرك أن ما يعلمونه بحجة الحرية والتعليم هو ما يدمر حياتهم. فإننا بحاجة ماسة، ونحن نعيش في هذه المجتمعات المتحررة، إلى محاسبة أنفسنا وفحص حالتنا بشدة. فقد عاهد كل مسلم أحمدي في بيعته أنه لن يظلم أحدا، ولن يخون، ويتجنب الفساد، ولا يكون مغلوبا بيد ثوائر نفسه. كل هذه الأمور قد ذكرها المسيح الموعود عليه السلام في شروط البيعة. والحق أن ثوائر النفس هي التي تؤدي إلى المشاكل في البيوت. أولا يرفعون هتاف التعليم وحرية المرأة ثم يتحول الأمر بالتدريج إلى ثوائر النفس، فتقع المشاكل. والمشاكل التي تقع في مجتمعنا أولا هي المشاكل العائلية، لذا فهناك حاجة ملحة لأن يتنبه كل أحمدي، رجلا وامرأة، إلى هذا الأمر.

ثم إننا قد عاهدنا في البيعة على العفو والصفح والتواضع والانكسار. كل هذه الأمور مندرجة في عهد شروط البيعة.

ثم هناك عهد منا بحمد الله وشكره على نعمه وإحساناته. لو شكر الإنسان ربه وحمده كما ينبغي وذكر مننه ونعمه لوفِّق للعمل بأحكامه، وتحلى بالعفو والصفح والتواضع والانكسار تلقائيا.

ثم عاهدنا على الصبر ورحابة الصدر وتجنب البدعات والتقاليد الفارغة. لقد بدأت البدعات والتقاليد السيئة تأخذ طريقها في جماعتنا في بعض الأماكن، حيث تقدم لها شتى الحجج والأعذار، فبعض الناس ينفقون في الأعراس أكثر مما يطيقون، إن من يقدر على الإنفاق فلا بأس عليه، ولكن الذين لا يقدرون عليه فإنهم ينفقون أكثر مما يطيقون رياء الناس، ووصل الأمر إلى الرياء وصار تقليدا فارغا وعبئا ثقيلا قد نهانا الله عنه. فهناك حاجة لفحص نفوسنا في هذا المجال أيضا.

ثم هناك المواظبة على أداء الصلوات والاهتمام بالنوافل وصلاة التهجد، فقد نبهنا سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام إلى هذا الأمر أيضا في شروط البيعة، بل لقد أمرنا الله بذلك في القرآن الكريم. ما هي شروط البيعة؟ إنما هي كل تلك الأحكام التي أمرنا الله بها في القرآن وذكّرنا بها الرسول صلى الله عليه وسلم مرة بعد أخرى.

ثم إن المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام قد نبهنا إلى أنكم إذا أردتم أن تكونوا عباد الرحمن ومؤمنين حقا فعليكم أداء حق العبادة كما ينبغي، فلا تصلّوا في الظاهر فقط، بل اجعلوا ألسنتكم رطبة كل حين بذكر الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتوبة والاستغفار.

فالأحمدي يدخل في الأحمدية وهو يعاهد على أنه سيعمل بكل الشروط التي وضعها المسيح الموعود عليه السلام للبيعة. ذلك لكي يسعى لينال الحياة الروحانية، وليكون عبدا حقيقيا لربه الرحمن الذي قد من عليه بنعم لا تعد ولا تحصى. فكما قلت من قبل، هناك حاجة لفحص نفوسنا بجدية ولكي نعلم ماذا يريد ربنا الرحمن منا. والآيات التي قرئت في بداية هذه الجلسة تناولت بعض هذه الأمور، وأود أن أوضح لكم بعضها الآن، لكي يدرك كل منا فرائضه وواجباته.

علينا أن نتذكر أنه لا بد من أن يكون هناك فرق واضح بين سلوك المسلم العادي والمسلم الأحمدي، لأننا قد آمنا بإمام هذا الزمان، واقتبسنا أو ندعي أننا قد اقتبسنا مِن نور مَن بعثه الله تعالى في هذا العصر ليريهم النور، وحين يأتي النور يختفى الظلام، وإذا اختفى الظلام تبين للناس جيدا ما هو خير وما هو شر، وعلم السالكون ما هي الطرق الوعرة وما هي الطرق السهلة، وتميز الحسن من القبح. كذلك حين يهيئ الله للناس النور الروحاني يتبين الفرق بين الإثم والحسنة، وتضيء الشمس الروحانية القلوب الطاهرة وتبدد ظلمتها. فمن منة الله علينا أنه قد وفقنا للارتباط بهذا الذي جاء في هذا العصر تابعا للنبي صلى الله عليه وسلم ليري الناس النور وينير أرض القلوب، فمن واجبنا الآن أن نُري الناسَ فرقا واضحا بيننا وبين المسلمين الآخرين، وأن نجنب أنفسنا كل عيب مهما بدا صغيرا، وننور قلوبنا من هذا النور الروحاني. فهذا ما سيجعلنا مؤمنين حقا، وقد وعد الله مثل هؤلاء المؤمنين بأنه سيكون لهم وليا ونصيرا.

ثم يقول الله تعالى عن هؤلاء {يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}، أي أنه يشملهم بنصرته فتخرجهم من الظلمات إلى النور، فيرى الناس بين المؤمنين وغيرهم فرقا بينا. إن الإيمان لا يعني الهتاف بالإسلام فقط، بل يعني إنارة القلوب بنور الله، وحين تتيسر هذه الحالة للمؤمنين يغير الله ظلمات السيئات بنور الحسنات، ويجعل بينهم وغيرهم فرقا بينا وتمييزا واضحا.

فاسعوا للاستفاضة حقا من هذا النور الروحاني الذي أعطانا الله إياه، والذي هو في الواقع نور النبي صلى الله عليه وسلم وقد تجلى في هذا العصر ثانية، فقد قال صلى الله عليه وسلم إن مجيء المسيح الموعود والمهدي المعهود هو بمنـــزلة مجيئي، كما أن الله أيضا قد بين في القرآن الكريم بقوله {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} (الجمعة: ٤) أن ظهور المسيح الموعود هو بمنزلة ظهور محمد صلى الله عليه وسلم، وقد عدّ الله تعالى أتباع المسيح الموعود أتباع النبي صلى الله عليه وسلم حقا. لذا فالمسلم الأحمدي، ذكراً وأنثى، بحاجة أن يكون مؤمنا حقيقيا وعبدًا من عباد الرحمن، وأن يتصبغ بصبغة

الصحابة الكرام، ويتحلى، من أجل استمرار نظام الخلافة والتمتع ببركاتها، بصفات تحلى بها مَن أطاع الخلافة حقا في عهد الخلفاء الراشدين. لا شك أن الأكثرية ممن لم يؤمنوا بالمسيح الموعود عليه السلام مسلمون في الظاهر، ولكنهم قد وقعوا في لهو الدنيا ولغوها ووقعوا في ظلماتها معرضين عن الدين. هؤلاء القوم يمكنهم أن يعتذروا إلى الله بعذر- وهو عذر واهٍ غير مقبول- بأن زعماء دينهم المزعومين قد حالوا دون إيمانهم بالمسيح الموعود، ولكن لا عذر عند المسلم الأحمدي الذي لا يسعى للخضوع لما أمر الله ورسوله ولا يحاول إحداث تغيير طيب في حياته. إن الذي يرى النور ويقبله ثم يظن أننا لا نزال في ظلمة الليل، فلا نقدر على التمييز بين الخير والشر، فإنه مخطئ، وليعلم أن ادعاءه ادعاء فارغ، وأنه لم ير ذلك النور بعيون سليمة و لم يؤمن به. إن الآخرين ليس عندهم نظام للتذكير عملاً بقول الله تعالى (فذكر)، أما نحن فعندنا نظامه، فلا عذر عندنا بتاتا. ففي هذا العصر الذي غلبت فيه الأنانية علينا أن نحمي أنفسنا من كل سيئة مستعينين بهذا النور الذي منحنا الله إياه، ونتجنب السبل الخاطئة إلى المستقيمة. من خصائص المؤمن أنه ينير الليالي من أجل الانتفاع الحقيقي من النور فرارا من الإثم، ولقد هدى الله سبيل ذلك وقال (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما)، أي أن عباد الرحمن يسعون للاستفاضة من فيوض رحيمية الله بالدعاء والابتهال في جوف الليالي. علينا أن نتذكر أن المسلمين لم يصابوا بالانحطاط إلا لترك الدعاء في جوف الليالي والانغماس في اللهو واللعب. واليوم أيضا ينهمك البعض في الساعات المتأخرة بالليالي في اللهو واللعب وغيرها من الأعمال غير البناءة، فمثلا يسهرون أمام التلفاز يشاهدون الأفلام ثم لا يستيقظون لصلاة الفجر دعك أن يصلوا التهجد، وإذا لم يصلوا الفجر في وقتها فهل من سبيل إلا الزوال والانحطاط. لذا يجب على كلّ منا أن يسعى للمحافظة على صلواته لأن التاريخ يخبرنا أن الانحطاط يبدأ حين يغفل القوم عن العبادات. إن وعد الله مع المسلمين ليس وعدا استثنائيا، بل هو وعد مشروط بأنهم سوف يحافظون على عباداتهم، فإذا قاموا بعباداتهم في مواعيدها كما أمر الله تعالى فعندها سوف يزدهرون، وإلا سيبدأ زوالهم ويبتعدون عن الدين أكثر فأكثر.

فإذا قضينا حياتنا على هذا النحو عندها سوف نُعَدّ من عباد الله الحقيقيين والشاكرين، وسوف تدل أقوالنا وأفعالنا حقا أننا قد آمنا بإمام الزمان ولذلك قد حصلت فينا هذه التغييرات الطيبة وتحصل أو أننا نسعى لها بكل ما أوتينا من قوة. فمن واجبنا أننا ما دمنا قد انضممنا إلى الأحمدية أن نكون من المنتصحين والشاكرين، وبذلك سوف نمكِّن الآخرين أيضا من رؤية هذا النور. التقارير التي تردني من قبل لجنة إماء الله ومجلس خدام الأحمدية ومجلس أنصار الله من شتى فروع الجماعة أننا قمنا بإقامة

معارض تبليغية وبتوزيع المناشير وما إلى ذلك من نشاطات، فهو أمر رائع، ولكن هذا لن يعود بالنفع الحقيقي ولن يحدث من يبايع عن طريقكم في نفسه تغييرا طيبا حقيقيا إلا إذا كنا نحن عاملين بتعاليم ديننا، وساعين لتدارك التقصيرات، وشاكرين لله على أنه يوفقنا لإصلاح أخطائنا ويحالفنا بنصره، وإذا كان يكلل جهودنا التبشيرية بالثمار، فإنه يوفقنا لإنارة لياليا بالدعاء ولإزالة ما عندنا من نقائص وتقصيرات.

والإنسان، سواء أكان ذكرا أو أنثى، إذا صار عبد الرحمن، أو سعى لذلك حقا، فإن الله يقول أنه سيتصف بصفة أخرى وهي (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا)، أي أنهم يكونون نموذجا للتواضع فيمشون على الأرض هيّنين متواضعين. فالتواضع صفة عظيمة، ومن واجب كل مؤمن، وكلّ منا، أن يفحص نفسه مرة بعد أخرى ما إذا كان يتحلى بهذه الخصلة الحميدة أم لا. فإنني أتلقى أخبارًا في بعض الأحيان أن المبايعين الجدد قد انسحبوا من الجماعة لأن الأحمديين القدامى أو المسئولين في الجماعة لا يدل سلوكهم على التواضع بل على الكبر. لا شك أنه من سوء حظ هؤلاء المنسحبين أنهم تعثروا برؤية نموذج خاطئ من البعض بدلاً من أن يسعوا ليزدادوا إيمانا ما داموا قد آمنوا بإمام الزمان إماما صادقا، إذ لا يجوز للمرء أن يصاب بالعثار برؤية سلوك خاطئ من غيره، إلا أن ذوي النماذج الخاطئة هؤلاء أيضا يصبحون من حيث لا يدرون سببًا وراء إثم هؤلاء المتعثرين. فمن واجب المؤمن أن يؤدي حق ما عنده من نور فيسعى لإضاءة الطريق للآخرين بدلاً من أن يدفعهم ليتخبطوا في الظلمات، وهذا يتطلب من المرء أن يصوغ حياته وفقًا لأحكام الله تعالى. واعلموا أن التحلي بالتواضع والانكسار حكم من أحكام الله تعالى، فاجعلوها نصب أعينكم على الدوام. لا نستطيع الجزم بأن الرجال أقل كبرًا من النساء، أو العكس صحيح، إلا أن ما لاحظته خلال خبرتي عموما فيما يتعلق بأصحاب المناصب والمسئولين أن النساء أكثر إصابةً من الرجال بمرض الكبر والغطرسة حين يتملكن السلطة والمنصب.

لقد تنبأ الله تعالى في قوله {يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} (الفرقان: ٦٤) بأنكم سوف تحرزون سلطة الفاتحين الغالبين. والغلبة مقدرة حتما للجماعة الإسلامية الأحمدية، هذا قدر الله، وقد وعد الله المسيح الموعود عليه السلام بالغلبة، وكأن الله يقول لنا: عندما تصبحون غالبين فعليكم بالتواضع. فعلينا أن نتحلى بصفات المؤمنين فلا نتكبر عند تملك السلطة البسيطة هذه.

ثم بين الله تعالى علامة أخرى لعباد الرحمن الذين يقتبسون من النور وينيرون الآخرين، وبتعبير آخر لقد نبّهنا تعالى بأنكم لن تدخلوا في عباد الرحمن إلا إذا تحليتم بخلقهم هذا وهو: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (الفرقان: ٦٤). أي عندما يتعرض لهم الجاهلون الهمجيون أصحاب الأخلاق الرذيلة السيئة الذين يتمنون الشجار والفساد بإثارة غيرهم بتصرفاتهم الخسيسة، فإن عباد الرحمن، ذكورا وإناثا، لا يثورون غيظا ولا يردون على جهالتهم بجهالة مثلها، بل يردون عليهم: (سلاما)، إنما نريد لكم الأمن والسلام. هذا هو السلاح الذي هو سر نجاح المؤمن، ذلك أن ردهم على الظلم والاعتداء بالرفق والرزانة ينير الطريق للكثيرين. لذا فعليكم أن تضعوا هذا الأمر في الحسبان دوما، فلا تثوروا للخصام على كل صغيرة وكبيرة. وقد قلت آنفا أن الغلبة مقدرة لنا، وعبد الرحمن لا يبالي بجهالة الجاهلين إبان غلبته أيضا، بل يدعو لهم بالسلام.

لو نظرتم إلى زعماء المسلمين وحكامهم اليوم لتبين لكم أنهم ليسوا من عباد الرحمن. أما الرسول صلى الله عليه وسلم فطالبه يهودي بدَيْن له عليه بقسوة، فرد عليه بمنتهى الرفق واللطف. فالرد على الجهل بالجهل ليس محبذا، وهو أمر لا يعلمه كثير من الناس، أما المؤمن فلا يليق هذا به، لأن هذا يدل على الاستكبار، ولا يليق بالمؤمن أن يستكبر. لو أدركنا هذا الأمر لزالت كثير من المشاكل العائلية تلقائيا. نجد عند دراسة خصومات الزوجين التي تؤدي إلى انفكاك الروابط الزوجية بعد الزواج بفترة قصيرة أو بعد ولادة الأولاد أن أكبر أسبابها الاستعجال في الرد على الآخر لقلة الصبر وغلبة الجهل، فمثلا لو قال أحدهما كلمةً رد عليه الآخر باثنتين، وهذه التصرفات الجاهلة وفقدان الصبر تفصم عرى القرابات في النهاية. إن أحكام القرآن كما هي منارة للمجتمع على نطاق واسع، فإنها ترشدنا في أدنى الصعد أيضا، ولو أدركها كل إنسان وسعى للعمل بها لأصبح كل مؤمن ومؤمنة حاملَ رسالة السلام، وناشر السلام على صعيد البيت وحتى على صعيد المجتمع، هناك حاجة لإدراك هذا الأمر. اعلموا أن كيل المرء الصاع بالصاع وظنه أنه هو الصحيح والآخر على الباطل راجع إلى جهالته واستكباره. الجهالة لا تزول بإحراز شهادة عالية المستوى. لقد أمرنا الله تعالى بصالح الأعمال، أي الأعمال التي تتفق مع مقتضى الحال والموقف، وفي مواقف الخصام والشجار يقتضي ذكاء المرء وثقافته أن يلتزم الصمت إذا كان الآخر لا يتوقف، لكي ينتهي الشجار، أما إذا لم يتصرف هذا التصرف الحكيم فإنه جاهل مهما كان مثقفا في الظاهر حتى لو كان بحوزته شهادة دكتوراه وغيرها. فهناك حاجة ماسة لاجتناب هذه الجهالة، لأن مثل هذه التصرفات تجعل هذه الحياة جحيما وتجلب سخط الرب. وقد وصف الله تعالى علاجه أيضا وهو الاستعانة به بالدعاء والاستغفار والحوقلة وذكر الله.

فإننا بحاجة إلى الامتثال لهذه الأحكام وإلى الدعاء: ربنا اصرف عنها جهنم الجهل وقلة العلم، وجحيم التكالب على حطام الدينا وأهواء النفس، جحيم فساد الأولاد والأجيال التالية. الحق أن الوالدين حين يتشجاران فإنهما في الواقع يدفعان أولادهما إلى الجحيم المادي، وقد رأيت أن أولادهما نتيجة شجارهما يفسدون ويتورطون في أعمال تثير سخط الله تعالى. إنني أتلقى كثيرا من الشكاوى بأن الأولاد مضطربون ومتخلفون في الدراسة، وضعفاء الصحة، وعندما أقوم بالتنقيب قليلا أجد أنه راجع إلى التأثير السلبي لجو البيت وشجار الوالدين. في هذا العصر يلعب المجتمع دورا كبيرا في إبعاد المرء عن الدين، لذا وكما قلت آنفا يجب أن يضم المؤمن إلى أدعيته الدعاء التالي: ربنا نجنا من نار الكفر والأعمال الشيطانية، ربنا أنقذنا من نار الإلحاد، ربنا قِنا نار الكذب والظلم، ربنا جنِّبنا نار الحرمان من حبك ورضاك. واعلموا أن رضا الله تعالى إنما يتيسر للمرء إذا عمل بأحكامه، لأن وقوعنا في هذه المعاصي، مؤقتا أو باستمرار، ليس إلا هلاكنا ودمارنا. ولا يظنن أحد أنه ليس متورطا في هذه المنكرات فلا حاجة به إلى هذه الأدعية. كلا، بل هذه الأدعية ضرورية لكي نظل في معزل عن هذه المنكراتِ ولكي يحمي الله أولادنا وأجيالنا منها، كما أنها ضرورية لنا لكي نوفق لأداء حقوق الآخرين على الدوام أدقَّ أداء. تذكروا قول الصوفية: اللحظة التي تغفل فيها عن الله تعالى تصبح كافرا فيها. إذا بدأ الإنسان في الغفلة عن الله تعالى، أخذ يبتعد عن ربه الرحمن باستمرار.

لقد قلت آنفا ينبغي أن ندعو الله تعالى أن ينجينا من جهنم الكذب، وقد بين الله تعالى في الآيات المتلوة آنفا أن من علامات عباد الرحمن أنهم {لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ} (الفرقان: ٧٣)، أي أنهم لا يدلون بشهادات مزورة، بل لا يخرج من أفواههم إلا الحق والصدق. ما أروع ما فعلنا حين آمنا بإمام هذا الزمان وشهدنا أن هذا الشخص صادق ومبعوث من عند الله تعالى. ولكن هل تحقق هدفنا بمجرد قبول هذا الصدق والشهادة به؟ صحيح أن جزءا منه قد تحقق ولكن الجزء الأكبر سيتحقق حين يتلاشى التعارض بين قولنا وفعلنا، وحين يكون الصدق والحق ملحوظا في كل فعل من أفعالنا. عندها سنُعرف في المجتمع بقولنا الحق والصدق. يجب أن تتذكروا دائما أن الحسنة العظمى والصعوبة الكبرى التي يواجهها الإنسان بعد الإيمان بوحدانية الله تعالى هي قول الصدق. صحيح أن آلاف الناس يتحلون بعاطفة الرحم، وهناك من يعدلون أيضا ولكنهم لا يكونون مستعدين تماما لقول الحق والإدلاء بشهادة الحق في كل الأحوال. نلاحظ أن الناس المثقفين في بلاد أوروبية أيضا كثيرا منهم يرفعون عقيرتهم من أجل العدل والإنصاف ولكن عندما يأتي الأمر إلى الإدلاء بشهادة الحق عن أقاربهم أيضا فضلا عن

أنفسهم يتلكأون في الإدلاء بها، ولا يدلون بها عن أهل قومهم في بعض الأحيان. السبب وراء الخصومات السائدة في العالم حاليا يعود إلى النقص في قول الحق أو انعدام الصدق والعدل. رفع الهتافات باسم العدل أو القيام به على مستوى بسيط شيء وشهادة الحق بكل صدق وأمانة على وجه كامل شيء آخر تماما. لو فهِم الناس في العالم هذا الأمر لزالت المخاوف الموجودة في العالم التي نرتعب منها حاليا. يقول الله تعالى بأن عباد الرحمن أو الذين يدّعون أنهم عباد الرحمن لا يكتمون شهادة الحق أبدا في سبيل إقامة الحقوق وأدائها. لقد نهضنا بإعلان أننا سنهيئ النور للعالم كله، وكل من يدّعي كونه أحمديا، رجلا كان أم امرأة، يعلن أنه سيقيم الصدق والعدل في العالم. ولكن إن لم يفعلوا ذلك لكان إعلانهم ادّعاء فارغا تماما. لم نُخلق ولم ندخل الجماعة فقط لننال شهادات من الدنيا أو نسعى بكل جهدنا لجمع الثروة والمال، أو أن نسبق غيرنا في اختيار موضة جديدة، بل علينا أن ننشر الحق والصدق ما دمنا قد قبلناه، وإن لم نفعل ذلك لكان ذلك كلاما فارغا فحسب فضلا عن إدعائنا الإيمان بإمام الزمان، وبذلك سنبتعد عن الله فضلا عن الإدلاء بشهادة حق، وسنكون كاذبين وكاتمي الحق. ويكون المراد من ذلك أنه لا أهمية لله في نظرنا، أو نساعد لإقامة حكومة الشيطان بدلا من إرساء دعائم ملكوت الله. فكما قلت من قبل إن شهادة الحق هي الأهم بعد الإقرار بوحدانية الله وعلينا أن نضعها في الحسبان دائما. فعلى كلّ منا صغيرا كان أم كبيرا، رجلا كان أم امرأة، أن يعقد العزم على قول الصدق دائما مهما كان الأمر، وأيا كانت الظروف. ويجب على النساء بوجه خاص أن يبدأن بحملة واسعة النطاق لإقامة الصدق لأن للنساء دورا كبيرا في تربية الأجيال القادمة. كان النبي ﷺ يأخذ عهدا من النساء بوجه خاص على ألا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَه، كما هو مذكور في القرآن. ليس ضروريا أن تكون عادة الافتراء في كل امرأة وأن يكون الرجال كلهم أبرياء منها، بل عندي أمثلة كثيرة حيث تكون المرأة صادقة والرجل يشهد شهادة زور ويفتري ويّتهم بغير حق. أما في هذا المقام فقد أُكِّد للنساء على أن يجتنبن الكذب، والسبب في ذلك أن في بعض الأقوام تفتقر النساء إلى تربية صحيحة في العصر الراهن أيضا، وبالتالي يكثر مرض الكذب بينهن في بعض المناطق إذ يكذبن لأتفه الأسباب ولا يرينَه كذبا بل يحسبنه أمرا عاديا، ولا يشعرن بأنهن يكذبن. وكما قلت قبل قليل إن للنساء دورا كبيرا في إصلاح المجتمع. والأولاد الذين يتربون في حضنهن يحملون مسئوليات القوم في المستقبل. وعندما يرى الطفل أن أمه تكذب في أمور كثيرة وتقول ما لا ليس له علاقة بالحقيقة فلا تبقى في قلبه أهمية للصدق. وعندما تتلاشى أهمية الصدق في ذهن الأولاد يتلاشى إيمانهم بالله أيضا كما قلت. والسبب

الأكبر لذلك هو فقدان الصدق، وبالتالي لا يقدر الأطفال على التمييز بين الصدق والكذب. هناك عدد كبير جدا من الأطفال الذين يتأثرون سلبا من المجتمع الخارجي وكذلك من الجو المحيط بالبيت ثم يبتعدون من الدين كليا مما يؤدي إلى دمار الأجيال كلها.

هنا أريد أن أوضح أنه ليس ضروريا أن يحدِّث المرء حتما بكل ما هو صحيح وحق. لقد منع الله الإنسانَ من بيان بعض الأمور لأنه يؤدي أحيانا إلى انتشار السيئات وفقدان الأمن في المجتمع. فهناك نساء ورجال أيضا معتادون على أن يحدِّثوا هنا وهناك بكل ما سمعوه، وإذا سئلوا قالوا: لم نكذبْ. صحيح أنهم لم يكذبوا ولكنهم يرتكبون الإثم على الرغم من عدم قولهم الزور ويدمرون أمن المجتمع لأن بيان عيوب الآخرين غيبة، والله تعالى قد منع من الغيبة بكل شدة. وبيان عيوب الآخرين أمام الناس يؤدي أيضا إلى تخفيف شناعة السيئة في كثير من الأحيان. لقد أمر الله تعالى بستر الفحشاء. إذًا، ليس ضروريا أن يذكر الإنسان عيوب الناس وتقصيراتهم. والمعلوم أن هذا هو سبب ذيوع المنكرات في المجتمعات الغربية. إذ قد تلاشى عندهم التمييز بين السيئة والحسنة، فتُرتكب الذنوب علنا باسم الحرية. فهذا النوع من الصدق عن الآخرين يؤدي إلى انتشار الفساد والقلاقل في المجتمع لأن الذي يقال عنه هذا الكلام عندما يعلم به سيستشيط غضبا ويعيث الفساد فتبدأ سلسلة جديدة من الخصومات والشجارات.

أعلم شخصيا عن أحداث أن فتاة ذهبت إلى بيت أصهارها ثم أخبرت والديها ما وجدت من النقائص في بيت الأصهار، وذكرت تقصيرات والديها في بيت أصهارها، لعلها كانت تقصد من ذلك أن تُظهر كم هي صادقة وبسيطة، أو صدرت منها هذه الأمور بسبب سذاجتها ولكنها أدّت إلى الخصومات والنـــزاعات بين عائلة الشاب والفتاة حتى أسفرت عن الانفصال بين الزوجين، ثم امتدت سلسلة النـــزاعات وإلصاق التهم بين العائلتين طويلا حتى انقطعت العلاقات كلها.

وهناك رجال قالوا لزوجاتهم إذا بقيتِ على صلة بوالديك بعد الآن فلن تبقى لك علاقة بي، وسوف أطلقك. فهناك بنات مضطرات بسبب ذلك ولم يرين وجه الوالدين منذ عشر سنوات، فهذه المظالم تصدر لأن الإنسان لا يعدُّ أعمالا يظنها بسيطة من الظلم والسيئة، ويبدي تمسكه الكثير بـــ "الصدق" المزعوم. إذا دعاكم نظام الجماعة أو مكتب الإصلاح لإدلاء شهادة فيجب الذهاب لإدلاء شهادة الحق دون كتمانها بأي وجه.

فيجب أن يهدف كل مؤمن ومؤمنة في كل أمر أن يعيش بحسب أوامر الله ﷻ. ثم يقول الله ﷻ ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ أي لا يشارك عباد الرحمن في الملذات المادية والمجالس المادية تأثرا بها أو سعيا إلى الشرفِ المادي، بل يمرون بالمجالس التي تتسم بالمادية فقط معرضين. فاللغو يشمل كل ما يُبعد الإنسان عن الله، ويمنعه من العمل بأوامر الله الواضحة البينة، سواء كان رقصا وطربا أو استخدام نرجيلةٍ في الاستراحات بحجة الترفيه، أو كانت مجالس مشتركة بين شباب وبنات وإنشاء صداقات، التي تؤدي أخيرا إلى السيئات الأخرى، وسواء كان السهر على الانترنت ليلا والتقاعس عن حضور صلاة الفجر، أو الدردشة على المواقع الالكترونية المختلفة، أو استخدام الفيسبوك استخداما خاطئا، أو كان جلوسا مع النساء والانشغال في الحديث المادي فقط كالحديث عن الملابس والحليّ أو تجسسا على إحداهن وعن علاقة زوجها بها، وماذا يكسب وما دخله، ومَن الذي جاء إلى البيت الفلاني في وقت كذا؟ كل هذه الأمور من اللغو، وقد نهى الله ﷻ عن كل ذلك، فقال هذه الأمور لا تليق بعباد الرحمن، بل هم يقضون نهارهم ولياليهم في العبادة وذكر الله.

فيجب أن نهتم كل حين وآن حتى في الانشغال في الأعمال المادية اليومية، بألا يولد انشغالي في الأمور المادية شعورا فيَّ أني قد اختفيت عن نظر الله، بل يجب أن يكون لديكم إحساس دوما أن الله يراكم، فإذا نشأ هذا الإحساس فسوف تخافون اللهَ وتجتنبون الأعمال السيئة وفي الوقت نفسه ستهتمون بتأدية حقوق الخلق أيضا. فسوف نهتم وننتبه إلى ماذا يريده الله منا، لقد بيَّن الله في القرآن الكريم جميع أحكامه، ويجب أن نستجيب لها كلها، وينبغي أن نبحث ماذا أمرنا الله به، كما قد بين الله ﷻ أيضا الأمور التي يجب أن نجتنبها، وقد بينتُ في خطبة الأمس أن الله بقوله ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١١)، قد ذكر مسئولياتنا بكل شمولية. إذا وضعنا هذه الأمور في الاعتبار فسوف نسعى لإحراز جميع الحسنات، ونبذل قصارى الجهود لاجتناب جميع أنواع السيئات. سوف نسعى جاهدين للإحسان إلى الأقارب ونبحث عن إمكانية ذلك، وسوف نهتم ونفكر كيف يمكن أن نخدم الفقراء لنيل رضوان الله ﷻ، وسوف نبذل قصارى جهدنا لنؤدي حق الأمانة، وسوف نولد فينا الإحساس بتقديم التضحيات لتأدية حقوق الآخرين، وسيكون دأبُنا حسنَ الظن، كما سوف نتقدم في الشكر لعباد الله، وسيكون الصبر على الأذى جمال أخلاقنا، وسنبقى منتبهين ومهتمين بإقامة العدل والإحسان إلى الآخرين، كما سيكون الإحسان إلى الوالدين زينة سلوكنا، وسنكون مُوفين بالعهود، ونؤدي حقوق الأقارب مراعين صلة الرحم، ونهتم

باجتناب الغيظ والحقد وسوء الظن وإلصاق التهم والنميمة، وسنعدّ الاستهزاء بالآخرين واحتقارهم واعتبارَهم أقلَّ منا درجة من الكبائر، سنتفادى الإسراف، ولن نكتفي بالدعاء لأن يكون أولادُنا قرة أعين لنا بل سنخطو خطوات عملية أيضا لجعْلهم قرة أعين لنا، حيث نقدم لهم النماذج من خلال أعمالنا، وسيكون الزوجان يؤديان حقوق بعضهما البعض وحقوقَ الأولاد أيضا، وسنكون نشيطين في التوكل على الله أيضا. باختصار إن الأمر بالمعروف والامتناع عن السيئات سيقودنا إلى إحداث التغييرات الطاهرة في النفوس، وسنبني مجتمعا طاهرا قد بُعث النبي ﷺ لبنائه، والذي قد بين لنا الله تفاصيله في القرآن الكريم بوضوح، والذي لإقامته من جديد في العالم وإقامة ملكوت الله ﷻ في العالم، قد بعث الله ﷻ المسيح الموعود عليه السلام. إذن يجب أن نسعى جاهدين للانضمام إلى عباد الرحمن الذين ذكر الله ﷻ من صفاتهم الأساسية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾. فالمؤمنون الحقيقيون وعباد الرحمن يستجيبون لأوامر الله، وعندما يُوعظون يستمعون للوعظ، ويهتمون بتغيير أحوالهم.

فيجب على كل منا، أن يسعى للاستجابة لأوامر الله ابتغاء مرضاته.

وفَّقنا الله رجالا ونساء جميعا لنسعى لنيل رضوان الله واضعين في الحسبان العهدَ الذي قطعناه بإيثار الدين على الدنيا، ونكون من عباد الرحمن الذين يقع عليهم نظرُ الله تعالى حبًّا كل حين وآن. تعالين شاركْنَني في الدعاء.